

الأساليب الاتصالية والإعلامية للرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ الدعوة الإسلامية



ملخص

د. رضوان بلخيري
د. لدمية عابدي
جامعة العربي التبسي
تبسة

Abstract

The aim of this study is to know the Prophet Mohammed (Peace and Blessings Be Upon Him) messenger as a media personality between eloquence, rhetoric, logic and persuasion. He was followed and opted for an efferent communication way under the protection of allah the majestic and the glorious who granted him with greater communicative power to provide the proof and evidence i-e the Holy Koran.

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الرسول ﷺ بعدّه شخصية إعلامية تجمع بين الفصاحة والبلاغة والمنطق والإقناع، فقد أرسى عليه الصلاة والسلام سياسة اتصالية إعلامية محكمة برعاية من الله عز وجل الذي زوده بأكبر قوة إعلامية لإقامة الحجة والبرهان وهي القرآن الكريم، فقد تمكن عليه الصلاة والسلام من نشر الدعوة في شبه الجزيرة العربية بأكملها في 23 سنة، فهو العبقري والإعلامي الأول في الإسلام، فإلى جانب القوى الروحية التي اختصه الله بها نهج في تبليغ دعوته منهجا إعلاميا خاصا أذهل الخبراء في حقل الاتصال، قائما على مبدأ مخاطبة العقل بالكلمة الطيبة والدعوة بالحسنى وبالإضافة إلى ذلك سنعمد إلى إجراء مقارنة نظرية بين المفاهيم الاتصالية الحديثة والمفاهيم الدعوية.

الكلمات المفتاحية: الاتصال، الإعلام، الرسول ﷺ، الدعوة الإسلامية.

The prophet (prayer and peace be upon him) could propagate Islam in the hole peninsula of the Saudi Arabia within 23 years, he was a genius and the first Islam's journalist. Besides his spiritual powers, he followed in his strategy to convey the Islamic propagation a mediatic unique way which astonished the media experts, he delt targeting the mind through nice words and kind invitation.

In addition to that, we will make a comparison between the modern communicative concepts and the propagation concepts.

Key words:

Communication – media – prophet (prayer and peace be upon him) - islamic propagation.

مقدمة

إنّ الإعلام بمختلف وسائله ونظرياته وتقنياته الحديثة لم يكن معروفا زمن نزول الوحي، لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار تطبيق المقاييس العلمية الحالية على الدور الملقى على عاتق الدعوة الإسلامية وحامل لوائها ﷺ، فإننا نستطيع القول أن للإعلام أهمية ومكانة مرموقة في تبليغ الدعوة، فهو أداؤها ودعامتها الأساسية، وقد عاش الرسول ﷺ حياة إعلامية حافلة بوصفه الداعية الأول لهذا الدين، وحقق من خلالها منجزات عظيمة انطلاقا من مهمته التي كلفه الله بها، وهي مهمة إعلامية صرفة تجسدت معالمها الإعلامية الأولى قبيل الإسلام من خلال فرص الاتصال الذاتي التي عاشها الرسول ﷺ عن طريق التأمل والتفكير في خلق الله عز وجل، ومع نزول الوحي والذي يمثل أول عنصر في العملية الاتصالية للرسول ﷺ، بدأت مرحلة الإعداد والتخطيط لتحقيق هدف المهمة الإعلامية المقدسة ألا وهو الإقناع والذي يهدف من وراءه إلى تغيير حياة الناس بإخراجهم من ظلمة الشرك ومن خضوع بعضهم لحاكمية بعض إلى الخضوع لله الواحد الأحد.

لقد أرسى الرسول ﷺ سياسة اتصالية إعلامية محكمة برعاية من الله عز وجل والذي زوده بأكبر قوة إعلامية لإقامة الحجة والبرهان وهي القرآن الكريم؛ يضاف إلى ذلك أنّ ممارسته الإعلامية تدعمت بحملة من الأساليب والوسائل التي راجت في الحياة الاجتماعية التي عاصرها، أين طهرها من شوائب الفساد الخلقي، وهذا لأجل تقريب فكرة الإسلام واستقطاب اهتمام المتلقين.

فما هي الأساليب الاتصالية والإعلامية للرسول ﷺ في تبليغ الدعوة الإسلامية؟

1. أشكال الاتصال النبوي

إن الرسول ﷺ بشر اختاره الله عز وجل وأعدّه إعدادا يتناسب مع حمل الرسالة التي سيكلفه بها، فمهمته صلى الله عليه وسلم تتمثل في الإبلاغ بالقول والعمل، واستغلال كل الوسائل المتاحة في عصره، وذلك بالتخطيط السليم في كل مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية، سواء في المرحلة السرية أو الجهرية في مكة، أو في المراحل

المتعددة في المدينة بعد الهجرة إلى غاية فتح مكة ووفاته صلى الله عليه وسلم.

فلكل مرحلة من مراحل الدعوة هدفها وجمهورها، وهذا ما يستدعي تنوع وتميز أشكال الاتصال ووسائله من مرحلة إلى أخرى لتحقيق الهدف الرئيس المتمثل في نشر الدين الإسلامي إلى الناس كافة.

وفي هذا السياق سنتعرف على أشكال الاتصال التي اعتمدها ﷺ لتحقيق هدفه المقدس، وبالموازاة مع ذلك سنقف عند مراحل الدعوة التي استخدم (الرسول) فيها هذه الأشكال الاتصالية.

1.1. الاتصال الذاتي

ويعدّ هذا الشكل أساس كل الأشكال الاتصالية الأخرى، فهو أول اتجاه لمستوى الاتصال الذي يحدث داخل الفرد حينما يحدث نفسه وغالبا ما يتضمن أفكاره وتجاربه ومذكراته، وفيه يكون كل من المرسل والمستقبل في شخص واحد؛ أي في كيان واحد⁽¹⁾. وهذا النوع من الاتصال لم يغفله الإسلام، وإنما هو الأساس الذي تركز عليه عملية الإيمان بالرسالة، إذ إنّه كان من أسس إعداد النبي ﷺ قبل البعثة وفي بدايتها⁽²⁾، يقول عبد الوهاب كحيل: "قد كان الاتصال الذاتي من أسس إعداد النبي ﷺ قبل البعثة، وهو عملية تعليمية لكيفية التفكير السليم وإعداد برجاجة العقل"⁽³⁾.

لقد كان عمل النبي ﷺ في رعي للغنم من العوامل المساعدة على توفير فرص للاتصال الذاتي عن طريق التأمل والتفكير العميق في خلق الله عز وجل، ومن بين مظاهر الاتصال الذاتي: التحنّث الذي يعدّ من عادات قريش قبل الإسلام، وهو الانقطاع عن الناس في أماكن غير مسكونة، وقد حُبب الله هذه العادة إلى النبي محمد ﷺ التي جعلت منه صلى الله عليه وسلم يصل بصفاء نفسه ونقاء روحه المتعلقين بالله يصل إلى مرتبة صار معها لا يرى رؤيا إلاّ وجاءت مثل فلق الصبح⁽⁴⁾.

وقد بدأ نزول الوحي على رسول الله ﷺ بكلمات تثير التفكير وتدعو إلى التأمل؛

إذ نزلت عليه أولا آيات ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ (سورة العلق: الآية 1-5).

وفي هذه الآيات دعوة واضحة إلى النبي ﷺ لأن يفكر في خالق هذا الكون، ثم انقطع عنه الوحي مدة 15 يوما، وكان ذلك الانقطاع تثبيتا لفؤاده صلى الله عليه وسلم خلال تلك الفترة، وتهيئة لتحمله الأمر الجليل الذي انتدب إليه، ولكنه في الوقت نفسه كان مخيفا له، لأنه جعله في وحشة، وردة إلى حيرة، فكان صلى الله عليه وسلم في ذروة الاتصال الذاتي، ولهذا تابع حماسه للعزلة في غار حراء يناجي ربه ويتضرع إليه؛ كي يأخذ بيده إلى الطريق السوي، إلى أن استأنف نزول الوحي بمشيئته تعالى فيأتي دون انقطاع، ومن ثم جاء القرآن الكريم ليكون أهم وسيلة تعلّم كيفية التفكير وتبين أهميته من خلال مختلف السور والآيات.

فكان الاتصال الذاتي أول خطوة في سبيل تحقيق التغيير والتأثير الفعال، وإقناع المتلقين بالرسالة الربانية المقدسة، وهذا الشكل الاتصالي هو الذي ركّز عليه الرسول ﷺ قبل البعثة وفي بدايتها بل إنه مارسه طول حياته.

2.1. الاتصال الشخصي

ويقصد به تبادل المعلومات والأفكار والمهارات والاتجاهات... إلخ، والتي تتم بين الأفراد بطريقة مباشرة دون استخدام وسائط بينهم، فيصبح بذلك الفرد منهم مرسلا والآخر مستقبلا، وهو بهذا (الاتصال) يعتمد على المقابلة المباشرة أو ما يسمى بـ "الاتصال المواجهي" (5).

ويتمتع المرسل في الاتصال الشخصي بالقدرة على التعرف الفوري على رد فعل المرسل إليه، ومن ثمّ تعديل مسار رسالته وفق هذا الرد إذا استدعى الأمر ذلك. وإذا كان الاتصال الشخصي استمرارا وتكملة للاتصال الذاتي بحيث لا يمكننا فصله عنه، فإنّ الرسول ﷺ اعتمد هذا التسلسل، وهذا الأسلوب لتبليغ رسالة الإسلام وإقناع غيره بها في العهد المكي؛ إذ نجد أنّ الله عز وجل بعد أن يسر لنبيه التفكير

والاقتناع (الاتصال الذاتي) يأمره بتبليغ الرسالة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ۖ قُمْ فَأَنْذِرْ ۚ﴾ (المذثر: 1-2) فبدأ الرسول ﷺ بالمرحلة الأولى للدعوة والتي كانت سرية وقد دامت ثلاث سنوات، وكان هدفها الأول إضافة إلى الإعلام بالإسلام تكوين الخلية الأولى للمسلمين، وزيادة عددها لمساعدة الرسول ﷺ على نشر الإسلام والتصدي لبطش المشركين فكان الاتصال الشخصي أول الأساليب التي مارسها الرسول ﷺ في تبليغ الدعوة.

وقد كان أول اتصال شخصي تم بين الرسول ﷺ وأسرته؛ حيث دعا زوجته خديجة، ومولاه "زيد بن حارثة" وابن عمه "علي بن أبي طالب" الذي تربى في بيته، وصديقه الحميم أبو بكر الصديق، أسلم هؤلاء في أول يوم من أيام الدعوة⁽⁶⁾.

فكان الاتصال الشخصي الركيزة الأساسية للمرحلة السرية للدعوة، وكان الرسول ﷺ يعتمد فيها على من يثق ويطمئن إليهم من الذين لا يميلون إلى بعض تقاليد وطقوس المجتمع المكّي، وكان الاتصال يتم بينهم خفية بعيدا عن أعين مشركي قريش، وقد مارس صلى الله عليه وسلم هذا الاتصال الشخصي حتى بعد جهره بالدعوة من خلال الاتصال بالمتلقين ومناقشتهم ومحاورتهم، وتبادل أطراف الحديث معهم وتقديم الحجج والبراهين لتحقيق التأثير والإقناع.

3.1. الاتصال الجمعي

وهو الذي يتم بين الفرد وجماعة آخرين أو بين مجموعة من الأفراد قد لا يعرفون بعضهم أو تجمع بينهم خصائص أو سمات مشتركة، ولكنهم يشتركون معا في الموقف الاتصالي، ويلتقون مباشرة مع القائم بالاتصال⁽⁷⁾.

ويشترك هذا الشكل من الاتصال مع الاتصال الشخصي في توفر رجع الصدى، وعدم توفر واسطة بين المرسل والمستقبل فهو يتم مباشرة وجها لوجه.

وإذا كانت ممارسة النبي ﷺ للاتصال الشخصي تتسم بالمرونة، والذكاء، والدقة، فإنه (الرسول) مارس الاتصال الجمعي بكفاءة عالية.

فبعد ثلاث سنين من الدعوة السرية نزل قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الحجر: الآية 94)، وقوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٢١٦﴾
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّكُمْ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٧﴾
(سورة الشعراء: 214-216).

وينزل هذه الآيات المباركة تبدأ المرحلة الجهرية التي اتبع فيها الرسول ﷺ أسلوبا جديدا ألا وهو أسلوب الاتصال الجمعي في جمع من الناس معتمدا في ذلك على الخطابة التي تعدّ وسيلة اتصال شفوية تأثيرية إقناعية.

لقد مارس الرسول ﷺ الاتصال الجمعي من خلال وقوفه خطيبا في القبائل ضمن الأسواق ومواسم الحج التي كانت بمثابة أسواق أدبية أكثر منها أسواق بيع وشراء، فقد كانت قبائل العرب تجتمع في هذه الأسواق في لقاءات اجتماعية وكان الرسول ﷺ يقف في هذه اللقاءات وينادي على الناس "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"⁽⁸⁾.

وهنا نلاحظ الرسول ﷺ يراعي في تقديمه لرسائله الخطابية ما يناسب الزمان والمكان، ويجمع فيها بين التركيز والإيجاز والوضوح وإثارة الفكر؛ لأنه يعلم أن إطالة الكلام في بداية الأمر قد تفتح المجال للمعاندین من الأعداء للطعن في حديثه، ولهذا كان يقول الجملة الواحدة التي يحفظها الجميع ويفهمونها كذلك، ومن ثم ينفعلون لسماعها ويفكرون فيها إلى درجة أن بعضهم قد أسلم بعد ذلك.

لم تقتصر جهود الرسول ﷺ على نشر رسالته وتثبيتها في قلوب سكان مكة فحسب، وإنما انطلق إلى خارج مكة والقبائل المجاورة لها وفي أماكن متفرقة ومتعددة، وتعدّ هذه المرحلة واحدة من المراحل المهمة التي بذل فيها الرسول جهدا كبيرا عمليا وشخصيا بصورة علنية واضحة.

وقد مارس الرسول ﷺ الاتصال الجمعي وأساليب اتصالية أخرى لإقناع المتلقين برسالة الإسلام خارج حدود مكة من خلال بعض الوقائع المذكورة في كتب السيرة والمتمثلة في:

- استقباله لوفد نصارى نجران وحواره معهم.

- ذهابه إلى الطائف.

- بيعة العقبة.

- هجرته إلى المدينة.

ومن خلال كل ما سبق يمكننا القول أن الاتصال الجمعي يعدّ من أهم مميزات أو أشكال الاتصال في صدر الإسلام، وقد أجمع الباحثون على أن الإسلام هو الدين الذي أدرك قيمة الاتصال الجمعي⁽⁹⁾.

والدليل أيضا على أهمية الاتصال الجمعي هو ما شرعه الله عز وجل من صلوات، فصلاة الجماعة تقام خمس مرات في اليوم والليلة، وصلاة الجمعة في كل أسبوع مرة، وصلاة العيدين، وهي كلّها عبارة عن فرص لممارسة الاتصال الجمعي.

2. مبادئ العملية الاتصالية للرسول ﷺ

لقد بيّن الإسلام كثيرا من الجوانب باعتباره رسالة عامة وشاملة ومضمونا إعلاميا يشمل القوانين الإدارية والسياسية والمعاملات والعلاقات العامة، ويضم بيانا مفصلا عن طبيعة النفس البشرية، وجوانبها العاطفية والمنطقية والغريزية، وقد بيّن أيضا الكيفية الناجحة لتحقيق التأثير والاستجابة، وذلك بالاعتماد على مبادئ محددة تتجلى في الآيات الآتية: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل 125).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة فصلت 33).

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران 104).

ومن خلال هذه الآيات مارس الرسول ﷺ العمل الإعلامي؛ أي الدعوة عن طريق التزامه بالمبادئ الإعلامية التالية:

1.2. الحكمة: وهي الحجة المفيدة لليقين⁽¹⁰⁾، أو هي الإصابة في معرفة الحق والعمل به، والدقة في وضع الأمور موضعها الصحيح، والإطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها⁽¹¹⁾، وهذا التعريف يشمل جوانب كثيرة نذكر منها:

1. الإصابة في كل الأمور القولية والعملية والاعتقادية مع الإخلاص فيها.
2. الدقة وتستلزم التشييت والتأكد من أحوال المتلقين، ومن كل ما يقوله المرسل ويدعو إليه.
3. من لوازم وضع الأمور في مواضعها الصحيحة معرفة المرسل للمتلقين، واختيار الأسلوب أو الوسيلة الاتصالية المناسبة، وما يحتاجون إليه، فيبدأ بالأهم فالأهم.
4. فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت المناسب.

فكل نظام في الوجود مرتبط بالحكمة، وكل خلل في الوجود، وفي الفرد سببه الإخلال بها فأكمل الناس أوفرهم منها نصيباً وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثاً، ولها ثلاثة أركان: العلم والحلم والأناة، وضدها الجهل، والطيش والعجلة⁽¹²⁾ قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة 269). والحكمة تختص بأصحاب النفوس المشرقة الذين لهم قوة الاستعداد لإدراك المعاني، وتحصيل العلم على اختلاف مراتبه.

فالحكمة هي الطريقة والوسيلة التي اتبعها المعلم الأول -صلى الله عليه وسلم- في تعليم المسلمين أركان هذا الدين، وتتجلى حكمته فيما يلي:

- ظاهرة الرحمة والودّ مقابل ما كانت عليه القوى الأخرى المعادية له من اليهود والمشرّكين من غل وحقد.

- الصبر المثمر الذي دأب عليه الرسول ﷺ وأصحابه، في مقابل الحصار السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي قام به الطرف الآخر، قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (المعارج 5).

- قوة الإرادة التي تحلى بها النبي ﷺ في تبليغه للرسالة داخل مكة وخارجها.

فقد كان -صلى الله عليه وسلم- يقدر الأمور حق قدرها، ويرى حاجة المتلقين

فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال، وبذلك استطاع أن ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، فتشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ لهم، والحريص على سعادتهم وأمنهم ومستقبلهم.

2.2. الموعظة الحسنة

يراد بالوعظ: التذكير بالخير فيما يترق له القلب، والموعظة هي التي تلين القلوب القاسية، وتدمع العيون الجامدة، وتصلح الأعمال الفاسدة⁽¹³⁾.

وتعرف الموعظة الحسنة كذلك بأنها: "الأمارات الفنية والدلائل الإقناعية"⁽¹⁴⁾.

فقد استخدم الرسول ﷺ الموعظة الحسنة من خلال الكلمة الطيبة التي تصل إلى عقول المتلقين وقلوبهم فيجدون فيها الخير والسعادة، ويحسون فيها صدقه وحرصه على جلب الخير لهم، ودفع الضرر عنهم، فضلا عن ما تحمله لهم من البشرى التي تأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والصواب.

3.2. الجدل بالتي هي أحسن

الجدال هو: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وهو محمود ومذموم⁽¹⁵⁾.

وفي تعريف آخر الجدل هو: الدليل المؤلف من مقدمات مسلمة عند المنازع⁽¹⁶⁾.

فالمجادلة بالحسنى أدلة كلامية يوردها المرسل ليلزم الخصم (المتلقي)، فيفحمه ويجعله يؤمن برسالته، وقد وصفت المجادلة بالحسنى تنزيها لها عن مفهومها الاصطلاحي الذي يراد به أنها ليست لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصم فحسب، والفرق بين الجدل والموعظة أن المجادلة منازعة بين طرفين متعارضين، والخصم فيها ليس صامتا، وإنما يناقش ويرد، بخلاف الموعظة فإن المتلقي يستمع إليها ويستثار بها، وينفعل معها، دون اللجوء إلى المنازعة الكلامية⁽¹⁷⁾.

ويمكن تلخيص أركان الجدل على النحو الآتي:

- لا يكون الجدل فيما غيب عنا، إذ ليس لنا سبيل إلى معرفته والعلم به.

- أن يكون الموضوع المتجادل فيه معلوما لدى المتجادلين، فلا ينبغي الجدل فيما يجهل أو ما كان متشعبا، فليس باستطاعتنا التمكن منه.
- أن يكون الهدف من الموضوع المتجادل فيه إظهار وجه الحق والصواب، ودحض الباطل والارتباب.
- تقديم الدلائل والحجج والبراهين القاطعة لإثبات صحة رسالة كل فريق على أساس المنطق السليم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَجِدُّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت الآية 46).
- يجب أن لا يشوب الجدل العنف بل ينبغي أن تواجه الحجة بالحجة، وتقاوم الفكرة بالفكرة.
- لقد كان الرسول ﷺ أكثر الناس توظيفا للجدال بالحسنى مع كفار قريش ومع اليهود والنصارى، وقد ساعده هذا النوع من الجدل على إبراز قدراته الاتصالية ونشر الدعوة الإسلامية، فكان رده عليهم وإفحامهم لهم و إجابته على تساؤلاتهم عن طريق ما ينزل عليه من وحي، سببا كافيا لأن يردوا على أعقابهم خائبين أمام أعين الناس.
- ومن هنا نستنتج أنّ الكلام الذي يقوم عليه الاتصال في الجدل والمناقشة هو الذي يكون فيه الحسنى والطيب من القول وفيه التواضع والهدوء، وعدم رفع الصوت وعدم إغاضة الطرف الآخر (المتلقي) أو الاستهزاء به، وذلك حتى يظل كلامه (المتكلم) مع متلقيه في مستواه العالي الرفيع والراقي اللين الخالي من الفظاظ والخشونة مع قوة في الإقناع وبيان للحق، فإذا أصّر الخصم على باطله وعناده فإنّ الكلام معه يصبح عبثا فينقطع الداعي عن جداله، وهذا المسلك؛ أي قطع الجدل مسلك سديد؛ إذ إنّ بعض الناس لا ينفع معهم الجدل لأنهم لا يريدون الوصول إلى الحق، وإنما يريدون المكابرة والعناد⁽¹⁸⁾. فيكون هذا الجدل بلا تحامل على المخالف، أو تشنيع لشأنه، وذلك حتى يطمئن -هذا المخالف- إلى الداعي، ومن ثمّ يشعر أن هدفه (المتكلم) في الجدل ليس الغلبة وإنما تحقيق الإقناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تتنازل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة⁽¹⁹⁾.

3. الممارسة الإعلامية للرسول ﷺ

ارتكزت دعوة الرسول ﷺ على التخطيط السليم في كل مراحلها سواء في المرحلة السرية والجهرية في مكة أو في المراحل المختلفة في المدينة؛ أي بعد الهجرة إلى غاية فتح مكة ووفاته صلى الله عليه وسلم.

وسنحاول فيما يلي إبراز أهم مظاهر وصور الممارسة الإعلامية للرسول الكريم.

1.3. دراسة البيئة

يتحتم على كل من يقوم بمسؤولية الدعوة إلى الله (القائم بالاتصال) أن يدرس المكان الذي تبلى فيه الدعوة دراسة شاملة وموضوعية، وأن يعرف مراكز الضلال، ومواطن الانحراف معرفة دقيقة، وأن يفكر أيضا في أسلوب العمل الذي يتفق مع عقلية المتلقين واستعداداتهم؛ بأن يتلاءم مع مستوى تفكيرهم ومدى استجابتهم، فتكون دعوته بذلك نابعة عن تخطيط ودراسة في سبيل تحقيق الهدف والوصول إلى التأثير والإقناع⁽²⁰⁾.

وقد اختار الله - عز وجل - الرسول ﷺ من بني قومه، وهذا يدلنا على أهمية معرفته عليه الصلاة والسلام بمستقبلي رسالته، وخصائصهم، وطبائعهم، ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وما يحبون وما يكرهون، والطريقة المثلى لإبلاغهم، وأيضا الوسيلة المناسبة لهم، وهو ما يؤدي بالضرورة إلى نجاح العملية الاتصالية، وتحقيق الهدف من الاتصال المتمثل في الإقناع، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ (سورة يوسف الآية 108).

ومن بين خصائص البيئة العربية وقتئذ العصبية القبلية، وقد استغل الرسول ﷺ هذه الخاصية ضمن ممارسته الإعلامية من خلال محاولاته الحثيثة في إقناع سادة وأشراف قريش؛ لأنه كان يدرك إدراكا جيدا أنه إذا نجح في إقناع السادة والأشراف من قريش بصدق دعوته فإن بقية أهل مكة وبقية الأفراد في القبائل العربية سيقنعون بهذه الدعوة. وهي حقيقة من الحقائق التي يعترف بها رجال الإعلام وما زال يؤخذ بها إلى يومنا هذا⁽²¹⁾. وينبغي ألا يغيب عن ذهن الداعية أو القائم بالاتصال أن البلد الذي ولد فيه

ونشأ فيه أحق بالدعوة والهداية والإرشاد من أي بلد آخر، وذلك لسببين رئيسين:

أ. منطق البدء بإصلاح الأهل والعشيرة قبل غيرهم

هو منطق رائد هذه الأمة محمد ﷺ فحين كلفه الله ﷻ بتبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة، كان من المنطق والطبيعي أن يعرض الرسول الكريم هذه الدعوة على أقرب الناس إليه، ممن يتوسم فيهم الخير من آل بيته وخاصة أصدقائه، ثم دخل الناس بعد ذلك في الإسلام تباعا من الرجال والنساء حتى انتشر ذكر الإسلام بمكة على لسان الناس.

فهذه هي البداية التي تتفق مع منطق الإسلام، وتتلاءم مع مرحلة العملية الاتصالية.

ب. الإحاطة الشاملة بمعرفة معتقدات القوم وأحوالهم

فقد استوعب الرسول ﷺ البيئة العربية التي كان يسودها الظلم الاجتماعي، والفوضى الفكرية والدينية، فحينما قام يدعو صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل في الفترة المكية، كانت دعوته تتركز في الرد على ضلالات الجاهلية، ويستأصل معتقداتها، وأخلاق الشر فيها، معتمدا في ذلك على القرآن الكريم الذي كان ينزل على الجاهلية في معتقداتها الباطلة وتحدياتها الضالة.

2.3. اتباع أصول التحدث والحوار

فالداعية أو القائم بالاتصال لا يكون موفقا في تبليغ رسالته، مالكا للب محادثه وجليسه قائما بمسؤولية إصلاحه وتقويمه، إلا إذا تأسى بسيد الدعاة ﷺ في حديثه وحواره، ويأخذ بأصول منهجه في تبليغ الناس ودعوتهم والتحدث إليهم. وفيما يلي سنقدم أهم أصول منهجه صلى الله عليه وسلم في التحدث والحوار:

أ. التحدث باللغة التي يفهمونها

تحقيقا للمبدأ الذي نادى به القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (سورة إبراهيم الآية 04) فلا يمكن للقائم بالاتصال أن يؤثر في

البيئة التي وجد فيها حتى يكون متقنا للغة أهلها، فاهما اللهجات قبائلها، عالما بما يخاطب به عوامها وخواصها.

فإذا لم يكن على هذا المستوى من إتقان اللغة، وفهم اللهجات، والعلم بحقيقة المتلقين، فإن تأثيره فيهم سيكون ضعيفا والإقبال عليه يكون ضئيلا... بل ربما يخفق في تبليغه ويفشل في دعوته، فلا يصل إلى تحقيق مبتغاه.

ولما كان العرب وقتئذ أصحاب فصاحة وبلاغة وبيان، إذ كانوا يعلون من قدر الكلام فهو صناعتهم التي فيها يتفاخرون ويتباهون، جاء تأييد الله لنبيه -صلى الله عليه وسلم- بمعجزة القرآن ومعجزة البيان؛ فكان من أبرز صفاته الفصاحة في التعبير والتخاطب؛ إذ روى الشيرازي والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما رأينا أفصح منك؟ قال: "إنا الله تعالى لم يخلقني لحانا، واختار لي خير الكلام، كتابه القرآن".

ب. التمهّل في الكلام أثناء الحديث

ومن أدب القائم بالاتصال حين يريد التحدث أن يتحدث بتؤدة حتى يفهم الناس منه، ويعقلوا عنه، وهذا ما كان يفعله الإعلامي الأول -صلى الله عليه وسلم- فقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها "ما كان رسول الله ﷺ يسرد الحديث كسردهم هذا، يحدث حديثا لو عدّه العاد لأحصاه"، وزاد الإسماعيلي في روايته: "إنما كان حديث رسول الله ﷺ فهما تفهمه القلوب"، وروى أبو داود عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "كان كلام رسول الله ﷺ فصلا يفهمه كل من سمعه".

ومن شمائله صلى الله عليه وسلم في هذا السياق ما يلي: (22)

1. أن الرسول الكريم أوتي جوامع الكلم، وأكثر أحاديثه كلمات معدودات.
2. أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، بل كل أقواله وأحاديثه تشريع لأمة الإسلام.
3. كان الرسول ﷺ لا يتعجل ولا يسرع كثيرا في خطبه وأحاديثه حتى لا يأكل الكلام بعضه بعضا وحتى لا تختلط على المستمعين المعاني والحقائق.
4. كان مقتصدا معتدلا في حديثه، فلا يصل الأمر إلى حد الاختصار المخل ولا إلى

التطويل الممل، وتخلل الكلام فترات سكوت، وهي فترات للتأمل بالنسبة للمتكلم وللمستمع.

5. تميز أسلوب حديثه صلى الله عليه وسلم بوضوح لفظه ومعناه، وكان يعيد الكلمات ثلاث مرات لكي يحفظها المستمع.

ج. إقبال المتحدث على الجلساء جميعا

ومن أدب حديث القائم بالاتصال أو الداعية: أن يقبل على متلقيه في كل شيء، بالنظرة، وبالسؤال، وبالإجابة، وحتى بالابتسامة، حيث يشعر كل فرد من المتلقين أنه يريده ويخصه ويقبل عليه... وهذا الخلق العظيم يأسر قلوبهم ويؤثر فيهم، ويعمق علاقة المحبة والثقة بينه وبينهم، متأسيا في ذلك بصاحب الخلق العظيم ﷺ في إقباله عليهم بوجهه، وحديثه إلى كل المجتمعين، فيتحدث إليهم إلى درجة أن الفرد منهم وهو في مجلس رسول الله ﷺ يظن أنه خير القوم وأفضلهم.

3.3. البدء بالأهم فالهمهم

هذه الطريقة في الدعوة هي طريقة الرسول ﷺ، وطريقة الذين اتبعوه بإحسان، أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذ إلى اليمن قال: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم، فإن أطاعوك بها فخذها منهم، وتوق كرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب".

ولما كان الرسول ﷺ عالما بمعتقدات القوم بصيرا بأحوال الجاهلية، خبيرا بعبادات البيئة، بدأ معهم بإصلاح العقيدة التي هي في نظره الأهم، ولهذا ركز في دعوته على هذه القضايا التي تتصل بالإيمان بالله، ووحدانية الخالق، وهي ترتبط بالاعتقاد وبالمغيبات؛ حتى إذا دخل الإسلام جاءت مرحلة المهم وهي التزام القوم بالإسلام على أنه أصول للمعاملة، ومبادئ للحكم ومنهج للحياة، وهذا ما ركز عليه صلى الله عليه وسلم في الفترة المدنية حينما أرسى معالم المجتمع الفاضل في المدينة المنورة بعد أن

صلحت عقيدة الأمة وترسخ في أبنائها الإيمان بالمغيبات، فبدأ الدعوة بالعقيدة قبل العبادة، وبالعبادة قبل مناهج الحياة، وبالكليات قبل الجزئيات، وبالتكوين الفردي قبل الخوض في الأمور العامة⁽²³⁾.

4.3. القوة الإقناعية

إنّ لرسول الله ﷺ طريقة إقناعية في التأثير في المتلقين وهي التي توصل القائم بالاتصال إلى قمة النجاح والتوفيق وتضفي على مستمعيه روح الهيمنة، والتأثير عن طريق قوة إقناعه من خلال قوة استدلاله، وحجته وبرهانه، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان القائم بالاتصال سريع البديهة، قوي الملاحظة، شديد الحذر، عظيم الإحساس بأحوال الحاضرين، فضلا عن سعة علمه وثقافته، وجاذبية كلامه، ومنطقه، وبساطة أسلوبه، ولكن في الحقيقة لا تكفي قوة الحجة ولا سرعة البديهة ولا بساطة الأسلوب إذا لم يأخذ بعين الاعتبار ما يناسب مع فهم المتلقي، وما يتفق مع عقليته، تحقيقا للمبدأ الذي سنه الرسول ﷺ للدعاة في كل زمان ومكان إذ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "بعثنا معاشر الأنبياء نخطب الناس على قدر عقولهم"⁽²⁴⁾؛ أي مراعاة القدرات العقلية للمتلقين على الفهم والاستيعاب.

5.3. الإيمان والصبر (الثبات على المبدأ)

يجب أن يكون القائم بالاتصال مؤمنا بالرسالة التي يبلغها للمتلقين، وأن تكون له مبادئ وقيم متأصلة في صميم وجدانه فإيمان القائم بالاتصال برسالته يؤدي إلى انفعاله وحماسه في مخاطبته لجمهوره، وهذا الحماس في حد ذاته معدٍ إذ تنتقل عدواه من المرسل إلى المستقبل فتصيبه بالتأثر وتؤدي به إلى الاستجابة، وقد كان لسيد الدعاة صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى في الحماس الانفعالي، والثبات على المبدأ، وتحمل الأذى في سبيل الله.

فقد سلك المشركون في مكة مع النبي ﷺ مسالك شتى لأذيته، واتبعوا أساليب مختلفة في اضطهاده ليصدوه عن أداء رسالته ولكنه ما استكان وما خضع⁽²⁵⁾. سلكوا معه طريق الإغراء بالمال والسيادة وتزويج النساء..... فما استكان وما خضع.

سلكوا معه طريق الضغط العائلي والتهديد العشائري..... فما استكان وما خضع.

سلكوا معه طريق الاستهزاء والسخرية وإشاعة التهم..... فما استكان وما خضع.

سلكوا معه طريق المقاطعة الاقتصادية الشاملة..... فما استكان وما خضع.

وقرروا اغتياله وملاحقته..... فخرج مهاجرا لله فما استكان وما خضع.

وبعد الهجرة حاربوه بحملات متعددة، وحروب طاحنة، ليستأصلوا دعوته

وأتباعه... فما كان ذلك ليرده عن تبليغ الدعوة ونشر دين الله في الأرض.

ومع كل هذا استمر نبي الإسلام ﷺ في تبليغ دعوة الإسلام، والجهاد من أجل إعلاء كلمة الله؛ إذ لو لم تكن هذه الدعوة مركزة في داخل شعوره، ولو لم يكن الجهاد متأصلا في أعماق وجدانه عليه الصلاة والسلام لما صبر هذا الصبر الجميل، ولما تحقق له الفتح المبين والنصر العظيم.

حينما دخل الرسول ﷺ مكة فاتحا، لم يبهز هذا النصر ولم يدفع به إلى الانتقام أو التشفي ممن آذوه وأخرجوه من بلده، وإنما تغلب على كل العوامل النفسية، فأصدر حكمه مدويا بكل ما يحمله قلبه الرحيم من حب ورحمة لأهله وحرص على هدايتهم، إلى جانب رجاحة عقله، وإيمانه برسائله المقدسة التي تفانى في توصيلها إلى آخر يوم في حياته -صلى الله عليه وسلم- فقال لهم: "اذهبوا أنتم الطلقاء" فهز هذا القول قلوب الناس في مكة جميعا فأصابهم ما يشبه الصدمة العصبية التي طهرتهم ونزعت ما في قلوبهم من حقد، فبادروا إلى الإيمان بالدعوة الجديدة وتفانوا في الإخلاص لها، والعمل من أجلها⁽²⁶⁾.

6.3. القدوة الحسنة

بالإضافة إلى طريقة تقديم الرسالة وعرضها، تحتل سمعة المرسل مكانة مهمة في التأثير وإقناع المرسل إليه، وما ينجر عنها من قبول للرسالة الاتصالية، ومن ثم اختصار جهود إعلامية كبيرة.

وتحصل الثقة بين المرسل والمرسل إليه في أغلب الأحيان من خلال حسن أخلاق

المرسل، والمواقف التي عرف بها في وسط ما، مما يجعله بمثابة قدوة لمن حوله يثقون فيه، ويقتدون بتصرفاته، فالقدوة تتفق مع طبيعة الإنسان التي تميل إلى الاقتداء بالآخرين ومحاسنهم.

وتتسلسل مراتب القدوة التي يتدبّر فيها بالرسول ﷺ الذي وصل إلى درجة صار فيها خلقه القرآن كما تقول عائشة رضي الله عنها، وكما قال عن نفسه -صلى الله عليه وسلم- "أدبني ربي فأحسن تأديبي"، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم الآية 04)، وقال أيضا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب الآية 21).

فقد كان الرسول الكريم على خلق عظيم، وهذا ما جعل كثيرا من الناس يحبونه فيه، ويثقون به ثقة كاملة قبل نزول الوحي فتألفوا معه وأقبلوا على دعوته، وذلك لما اتصف به من حلم، وصبر، وصفح، وصدق، وأمانة.

مكث الرسول ﷺ في مكة 13 عاما، يعدّ الدعاة (رجال الإعلام) ويقوم النفوس في صبر وتدرّج انطلاقا من مبدأ القدوة الحسنة؛ حيث نهل الصحابة رضوان الله عليهم من مدرسة النبوة، وترعرعوا في ظل كنفه وتوجيهاته المستمرة حتى صار كل منهم مثالا رائعا، وقدوة حسنة، وقد وصفهم عليه الصلاة والسلام بقوله: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"، فكانوا -رضوان الله عليهم- نماذج حية كان لها أثرها البالغ في نشر الإسلام⁽²⁷⁾.

فالقدوة الحسنة إذا؛ هي منهج عملي تطبيقي، بأن تنعكس صورة المرسل في رسالته، وأن توافق أقواله وأعماله، فهو إن دعا الناس إلى شيء فإنه يكون أول من طبقه.

7.3. الطريقة التشويقية

على القائم بالاتصال قبل أن يلتقي بالمتلقين، أن يفكر في الوسيلة التي تضيف على المجلس روح التشويق والتحيب، وفعالية الاستجابة والتأثير، وظاهرة التلقي والحيوية، وهذا إذا تم كان أكبر العوامل في نجاحه وتوفيقه في تحقيق هدفه المتمثل في

الإقناع بمضمون الرسالة.

وفيما يلي سنتعرض إلى بعض النماذج في تجدد أساليب النبي ﷺ في طريقة تبليغ الرسالة وتوصيلها:

أ. استخدام أسلوب القصة

إن القرآن الكريم وظف القصة، وهي من وسائل الاتصال المهمة التي عرض من خلالها كثيرا من الحقائق الإسلامية، فقد كان حافلا بقصص الأنبياء وما لقيه كل نبي منهم من أذى من بني قومه (28).

فالقصص الذي جاء بها القرآن الكريم لم يكن تأريخا للحياة كلها وأحداثها، وإنما هو عرض لبعض المواقف، وكشف عن بعض الأحداث التي من شأنها أن تحدث في النفس أثرا، وتفتح العقل والقلب على مواقع ماثلة للعبارة والعظة (29).

وقد سلك الرسول ﷺ أسلوب القصة في سرده لأخبار الأمم السابقة والتي استخرج فيها مواطن العبرة والعظة ليكون التأثير أبلغ، وتكون الاستجابة أقوى، ومن هنا نستنتج أن للقصة أثر في تحريك العاطفة، وإثارة الانتباه، وتسليية النفس، وفتح الذهن، وإصلاح الحال، بل إنها تنقل السامع من عالم العقلانية والفكر المجرد إلى أجواء العاطفة، وهيمنة التأثير (30).

فالقصاص القرآني كان يساير أحداث الدعوة الإسلامية في العهد المكي والمدني، وفي هذا ما يثبت فؤاد الرسول ﷺ وينير له الطريق، ويرشده إلى الأساليب التي يجب أن يتبعها من خلال أخذ العبرة مما جرى للأنبياء والرسل من قبله وكيف عذبوا وهجروا، فصبروا على ما أصابهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى بين الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ في كثير من قصص القرآن الطريقة المثلى التي يثبت بها رسالته، ومثال ذلك أن الله تعالى ذكر قصة يوسف عليه السلام في القرآن مفصلة، لتكون آية على نبوة رسوله محمد ﷺ، ويان ذلك أنه كان أميا، لم يقرأ شيئا من كتب الأولين، ولا درس شيئا من تاريخهم، حتى يفهم بأهتكم بما قرأ أو درس، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (سورة العنكبوت 48).

وقد سقت القصة مفصلة في جميع نواحيها، مستوفاة في جميع فصولها في أدق عبارة وأحكم أسلوب، أفيقل بعد ذلك أن يقال: إن صدقه عليه الصلاة والسلام فيما سرده من قضاياها ووقائعها وعجائبها على هذا النهج الواضح والطريق السوي وليد الصدفة والاتفاق؟⁽³¹⁾ فبالإضافة إلى استعمال الرسول ﷺ أسلوب القصص للتأثير في نفوس وعاطفة المتلقين، وإقناعهم برسائله صلى الله عليه وسلم، كانت أيضا حجة وبرهانا على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

ب. انتهاجه أسلوب الحوار والاستجواب

تطرقنا سابقا إلى بيان طريقة الرسول ﷺ في الجدل والحوار، وتعرفنا على مدى تأثيرها في المتلقين، وقد حاور -صلى الله عليه وسلم- كل أصناف المجتمع، إذ نجد الغني والفقير، الكبير والصغير، والرجل والمرأة والكافر واليهودي والنصراني، ونرى ممن آمن به العربي والحبشي والفارسي والرومي وهذا يدل على فعالية الحوار النبوي⁽³²⁾. لقد انتهج سيد الدعاة ﷺ الأسلوب الحوارية مع من يلتقي بهم ويدعوهم، من أجل إثارة انتباههم وتحريك همهم، وأيضا لأجل دفع الملل والسأم عنهم، وغرس حب المعرفة والهدى في نفوسهم.

ج. انتهاجه أسلوب ضرب المثل

وهو فن رفيع يوضح الحقائق ويفسر الوقائع ويحدث في النفوس الجاذبية والتشويق⁽³³⁾ فكان -عليه الصلاة والسلام- يستعين في توضيح توجيهاته الدعوية بضرب المثل مما يشاهده الناس في حياتهم اليومية، لينتقل بهم في ضرب الأمثال من البسيط إلى المركب، ومن المحسوس إلى المعقول، ومن الصورة إلى الحقيقة، وفي ذلك فائدة في مجال التربية والتعليم والإعداد، ففي هذه التمثيلات النبوية توضيح للفكرة، وترسيخ للعلم، وتشويق للنفس، وتحديد للأسلوب، وتنويع في الطريقة.

د. انتهاجه أسلوب المداعبة

كان -صلى الله عليه وسلم- يضيف على مجلسه روح الدعابة أحيانا ليجدد للسامع نشاطه، ويذهب عنه السأم والملل فتنتفح نفسه لتقبل المعلومة.

هـ. انتهاجه أسلوب الدعوة بالرسم والإيضاح

لقد كان رسول الله ﷺ يستعين بكل الوسائل الممكنة المعينة على إثارة الانتباه، وتصوير المعاني في أشكال محسوسة حتى يسهل إدراكها وفهمها، فقد كان يخط أمام أصحابه خطوطاً على الرمل ليوضح لهم بعض المفاهيم، ويقرب إلى أذهانهم بعض التصورات⁽³⁴⁾ فقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه كان يحمل بيده الشيء المحرم الذي ينهى عنه ليقرر ذلك بالقول والمشاهدة، فهي وسيلة من بين الوسائل التي تساعد المتلقي على الفهم وحسن الاستيعاب والحفظ لمدة أطول.

ومثال ذلك ما رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه في سننهم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ حريراً بشماله، وذهباً بيمينه ثم رفع بهما يديه فقال: "إن هذين حرام على ذكور أمتي حلّ لإناثهم".

8.3. الترغيب والترهيب

فالترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، ونقصه بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله⁽³⁵⁾.

وفي تعريف آخر الترغيب هو الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله⁽³⁶⁾.

أما الترهيب فهو أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية، وقد جاءت الدعوة إلى الله بهذا الأسلوب لجذب الناس إلى الحق وذلك خوفاً من العقاب، وخوفاً من فقدان السلامة والأمن⁽³⁷⁾. فالرسول ﷺ كان يذكر القوم بما هم عليه من نعم، وأن من شأن ذلك أن يدعوهم إلى طاعة الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم، ويحذرهم من فقدهم لها إذا امتنعوا عن الاستجابة إلى الله والكفر به، ومع زوال النعم يكون العذاب⁽³⁸⁾. ولهذا فأسلوب الترغيب والترهيب هو من أساليب الاتصالية التي هدفها تحقيق التأثير والإقناع.

9.3. الشورى

إن الرسول ﷺ كان معصوماً عن الخطأ في تبليغ الرسالة، ولكنه ليس معصوماً عند

الاجتهاد في الرأي وعلى الرغم من سمو منزلته وكمال عقله وخلقه إلا أنه كان معرضاً للخطأ لأنه بشر، فكان دائماً يرجع في كل أموره إلى أصحابه يقف على آرائهم ويوازن بينها بعقله، ثم يأخذ بالأمثل في نظره من هذه الآراء، قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى الآية 38)، وكان لا يمنع خطأ واحد من أصحابه في الرأي، من أن يعود إليه بالمشورة في المرة الثانية قال تعالى: ﴿فَأَعُفْ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران الآية 159).

ففي الحقيقة كانت حياة النبي ﷺ من أول الرسالة إلى آخرها تشاوراً بينه وبين كبار الصحاب، وكان النبي لا يهمل مع ذلك آراء الصحابة الآخرين⁽³⁹⁾.
وقسم صلى الله عليه وسلم شوره إلى قسمين: شورى خاصة تكون مع عليّة الصحابة والمهاجرين الأولين والأنصار السابقين، إذ كان يستشيرهم في الأمور الصغيرة والكبيرة.

وشورى عامة تكون مع بعض أهل المدينة المنورة عامة؛ حيث كان يجمعهم في الحرم النبوي الشريف، وإذا ضاق بهم جمعهم خارج المدينة المنورة، وعرض عليهم الأمر ورأيه فيه، وكان سكان المدينة في هذا يشبهون سكان أثينا، إذ كان كل شخص له رأي في إدارة شؤون الدولة⁽⁴⁰⁾.

4. وسائل الإعلام والاتصال في عصر النبوة

الوسيلة لغة هي ما يتقرب به إلى الآخر⁽⁴¹⁾، أو هي الوصلة والقربى قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (سورة الإسراء الآية 57)، وفي حديث الأذان: "آت محمدا الوسيلة"، فوسيلة الإعلام هي التي تؤدي بها الرسالة الإعلامية أوهي القناة التي تحمل الرموز التي تحويها الرسالة من المرسل إلى المستقبل⁽⁴²⁾.

وفي هذا الصدد نقول أنه على الرغم من أن الإعلام بأجهزته ووسائله ونظرياته وتقنياته الحديثة، كان غير معروف وقت نزول الوحي على صاحب الرسالة ﷺ إلا أنه بتطبيق المقاييس العلمية الحالية على الدور الملقى على عاتق الدعوة الإسلامية، نستطيع

القول أن الإعلام كان ولا يزال أداة هذا الدين ودعامته الرئيسة⁽⁴³⁾.

إن أشهر من كتب على وسائل الإعلام الباحث الكندي الأصل "مارشال ماك لوهان" في كتابه (فهم الوسائل... امتدادات للإنسان)، وهو صاحب العبارة المشهورة -الوسيلة هي الرسالة- وتقوم فكرته الرئيسة على أساس أن الوسيلة هي التي تنقل المضمون الإعلامي تؤثر في المتلقين من قراء ومستمعين ومشاهدين تأثيراً شعورياً، وأن هذا التأثير اللاشعوري يغير سلوكهم⁽⁴⁴⁾.

وقد أيقن الرسول ﷺ هذه الحقيقة باستخدام وسائل وقنوات معينة لتغيير سلوك الأفراد، فالأساليب والوسائل الإعلامية التي كان يستخدمها عرب الجزيرة قبل الإسلام كالشعر، والخطابة، والمناداة والأسواق وغيرها، يغلب على نهجها نشر الفوضى وإثارة الفتن والخلافات والدعوة إلى القتال وإحياء النعرات القبلية بين عرب الجاهلية، لكن بعد أن أرسل الله رسوله الكريم محمداً ﷺ وكلفه بالدعوة إلى الله ودين الإسلام، أدرك الرسول بفطرته ونظره الثاقب أنه من المناسب استثمار هذه الوسائل بعد أن عدل وهذب منهجها ومسارها وسما بأهدافها في خدمة الدعوة الإسلامية كما قلنا سابقاً. وفيما يلي عرض لأهم وسائل الإعلام التي استخدمها الرسول ﷺ للوصول إلى هدفه ومبتغاه:

1.4. القرآن الكريم

هو المصدر الشامل لتنظيم حياة البشر في سبيل كسب الدنيا والآخرة، فالقرآن يعدّ مصدر الأخبار والأنباء، فأخبار الإسلام تأتي من لدن حكيم عليم، تنزل من السماء إلى الأرض عن طريق الروح الأمين الذي عرف بالأمانة والدقة في النقل: ﴿وَلَقَدْ نَزَّلَ رَبِّيَ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۝﴾ (سورة الشعراء الآية 192-195)⁽⁴⁵⁾.

تبين هذه الآيات الأسس المتينة التي جاء بها القرآن الكريم، كما أوضحت القواعد العامة التي يجب أن تسير عليها صحافتنا اليوم والمتمثلة في الآتي:

1. قوة المصدر وعظمته، فالأنباء تصدر من عند الله رب العالمين.

2. صدق المبلّغ وأمانته (حامل الرسالة الإعلامية) فقد نزل بها الروح الأمين.
3. معرفة الذي سيقوم بتبليغ هذه الرسالة ونشرها، وهو الصادق الأمين محمد ﷺ.
4. مدى اقتناع المبلّغ بالرسالة وبالأنباء التي وردت إليه.
5. وضوح الرسالة؛ حيث أنها نزلت بلغة القوم بلسان عربي مبين.
6. إنّ القرآن الكريم هو عبارة عن مجموعة من الإلهامات النبوية التي تلقاها الرسول محمد ﷺ، فهو كتاب هداية مستمرة ومتطورة وفقا لتطور أوضاع الحياة الإنسانية⁽⁴⁶⁾.

يعدّ القرآن أكبر وسيلة من وسائل الإعلام منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا؛ لأن آياته رسمت للرسول ﷺ طريق الدعوة، وقد نصّ القرآن في كثير من آياته على أنّ الرسول الكريم مكلف من قبل الله تعالى بشيء واحد ألا هو تبليغ هذه الرسالة الجديدة إلى الناس، فكانت الدعوة إلى دين الله المهمة الإعلامية الرئيسة التي كلفه الله بها في كلمات واضحة دقيقة، لا تحتمل لبسا أو غموضا في العديد من الآيات الكريمة⁽⁴⁷⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَيَسْرَاجًا مُنِيرًا ۝﴾ (الأحزاب 45-46)، وحدد الله -عز وجل- مهمة الرسول ﷺ في سورة المائدة بقوله: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (المائدة 92)، والبلاغ هنا هو الإخبار والإعلام برسالة الحق جل وعلا.

ويتضح لنا من خلال هذه الآيات أن مهمة الرسول ﷺ قاصرة على إعلام الناس بالرسالة التي كلفه بها ربه، وهو غير مسؤول عن هدايتهم، ولم يطلب منه الله فرض دعوته على غيره، يؤكد ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة القصص 56)، وقال عز وجل: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (سورة الرعد 40).

7. نص القرآن الكريم في آيات كثيرة على الأخلاق التي يجب أن يتحلّى بها الإعلامي الناجح بوجه عام، والتي تحلّى بها الرسول ﷺ بوجه خاص ومنها الصبر، وحسن المعاملة، والجدل بالتي هي أحسن، والإعراض عن الجاهلين والمنافقين، ويرى طه حسين

أن القرآن أصدق مرآة للحياة الجاهلية، أو على وجه التحديد قبيل الإسلام، فيعطينا صورة صادقة لحياة العرب وعقائدهم، وأساليب حياتهم في العصر الذي عاش فيه الرسول ﷺ (48).

8. لقد أخبر الله عز وجل رسوله الكريم عن طريق القرآن بأمور غيبية، مثل: الجنة والنار واليوم الآخر، ومن الصعب أن نحصي الآيات التي جاءت تتحدث عن أوصاف الجنة والنار، لكن يمكن أن نجزم أن القيمة الإعلامية لهاته الأوصاف عظيمة من خلال التأثير الذي أحدثته في نفوس المتلقين، فكانت السبب في تغيير سلوكهم عن قناعة ورضا طلبا لمرضاة الله، وخوفا من ناره وطمعا في جنته (49).

وقد كشف التاريخ عن تغير حال المسلمين الذين سمعوا هذه الآيات؛ إذ تبدل حرصهم على الحياة وتقديرهم لها بعد أن كانوا يقدسون حياة الجاهلية، ويعبدون ملذاتها، فأصبحوا يسخرون منها، ويتسابقون في ميدان الاستشهاد للفوز بالجنة، وهنا يكمن الهدف الأساسي من الإعلام والذي لا يقتصر على نقل الأخبار والمعلومات فحسب بل يتعداها إلى تحقيق التغير السلوكي نحو الأفضل.

ونحن لا نستطيع تتبع واستقصاء فضائل القرآن الكريم على الأمة العربية خاصة، والأمم الإسلامية عامة، فهذا يحتاج إلى مجلدات.

2.4. السنة النبوية

تعدّ السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، والمقصود بها: كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل، وقد دونت بعد القرآن بمدة طويلة، وذلك لأن الرسول ﷺ لم تكن له عناية بكتابة شيء غير القرآن، بل يروى أنه كان ينفر من أن يدوّن عنه شيئا (50).

وقد جاءت السنة النبوية بيانا لما جاء في القرآن الكريم من عبادات وأحكام ومعاملات، وهي البيان العلمي لكيفية الدعوة إلى الله وتبليغ الإسلام، ومن ذلك أن الرسول ﷺ كان لا يأمر أصحابه بعمل إلا بدأ به، ولهذا الأمر الأثر البالغ في اقتداء الصحابة برسول الله ﷺ، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، إذ إن الدعوة العملية لها تأثير

أكثر من الدعوة بالقول⁽⁵¹⁾.

والأحاديث النبوية الشريفة تمثل بطبيعتها وسيلة من أهم وسائل الإعلام الإسلامي، ذلك أن "الحديث" من حيث المعنى هو أداة اتصالية، فقد كان لكلمة الحديث معنى عام هو الخبر أو المحادثة - دينية كانت أو غير دينية - ثم أصبح لها معنى خاص هو ما ورد عن النبي من قول أو فعل يروى عنه⁽⁵²⁾.

ومن خصائص الأحاديث النبوية: بلاغتها من حيث المبنى وقوة المعنى، وحكمة في الأداء، وقد كان الرسول ﷺ ينتظر الوقت المناسب لإخبارهم بحديث من لدنه، يتضح من خلاله حقيقة أو تنبيه أو وصية أو غيرها، حتى يكون لهذا الحديث تأثير بالغ وذلك حينما يكون متماشيا مع الظروف المناسبة له⁽⁵³⁾.

وقد كان للأحاديث النبوية طابعان:

أولاً: طابع التعليم والتوجيه والإرشاد.

ثانياً: طابع الإعلام والدعوة والتبليغ.

وهذان الطابعان يمثلان الوظائف الأساسية للإعلام بوجه عام والإعلام الإسلامي بوجه خاص.

فالسنة النبوية تمثل الرسالة الإعلامية المفسرة للقرآن الكريم، وكل ما تحمله السنة النبوية من أحاديث وأخبار كانت في حينها رسالة إعلامية مباشرة للقوم الذين تخاطبهم، وقد استمرت فعاليتها إلى يومنا هذا، وسوف تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

3.4. الخطابة

تعد الخطابة من الوسائل الاتصالية الأكثر قدما في تاريخ الأمم والحضارات، والحديث عن الخطب كوسيلة اتصالية لدى الرسول ﷺ يعني الحديث عن قوة من قوى الإعلام في عصر الرسول ﷺ تأتي في الدرجة الثانية مباشرة بعد القرآن الكريم والحديث الشريف.

* فكانت الخطابة بذلك أداة الدعوة الإسلامية الأولى لاستنهاض الهمم والحث على

الفضائل وجمع الشمل وإرهاب الأعداء، ومن المعروف أن القرآن الكريم لم يرد فيه أي تحفظ على الخطابة كما ورد في الشعر والشعراء، وقد كانت الخطبة وسيلة الرسول ﷺ في الدعوة إلى سبيل الله، لإيقاظ الضمائر وتدبر الكون والإيمان بالله الواحد، ومعرفة أوامر الدين ونواهيه⁽⁵⁴⁾.

* وبهذا أصبحت الخطابة أداة الدعوة واللسان الناطق بالرسالة، تشرح للناس أسرارها، وتبين المثل والقيم التي أتت بها، وتوضح خفاياها، وتحبب الناس فيها، وتدلهم على الهدى والحق والصلاح، وتفحم خصومها، وتفند آراء المخالفين لها.

* لقد كانت الخطابة وسيلة الاتصال الأولى التي اعتمد عليها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ في نشر دين الإسلام وشرح مبادئه، وخاصة بعد استكمال أركان الدين وفرائضه؛ إذ أصبحت الخطابة مرتبطة بأداء الشعائر الدينية (خطبتي الجمعة كل أسبوع، والعيدين كل سنة).

4.4. الشعر

يذهب علماء الإعلام الإسلامي إلى أن الشعر في حقيقته يعد نظاما إعلاميا كاملا في الأداء الشفوي والاتصال بين أجزاء المجتمع، وفي التأثير في الناس على نحو ما تفعله وسائل الإعلام الحديثة⁽⁵⁵⁾.

كان الشعراء يحتلون مكانة هامة في عصر الجاهلية قبيل الإسلام، وكان الرسول ﷺ يعلم جيدا أن لهؤلاء الشعراء مكانة كبيرة في نفوس العرب منذ الجاهلية، فلم يتجاهل هذه المنزلة، فاستثمر هذه الوسيلة وهذبها صلى الله عليه وسلم لخدمة الدعوة الإسلامية (فترتب الشعر بعد الخطابة)، فهجر الشعراء الأغراض التي تتنافى مع الدين وتعاليم الإسلام كالغزل الفاحش، والفخر الكاذب، والهجاء، والكلام في الخمر والميسر خاصة بعد نزول الآيات الكريمة الآتية: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۚ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۚ﴾ (سورة الشعراء 224-227).

لقد اتخذ الرسول ﷺ من سلاح العرب في جاهليتهم وهو الشعر عدة حربية لها فعلها في النفوس، بالنظر لما له من قدرة عظيمة في التأثير، ونقل الأفكار وتحويل الكوامن الداخلية في النفس⁽⁵⁶⁾.

لهذا فقد تسليح شعراء الإسلام الأوائل بهذا السلاح اللساني الإيماني المتمثل في الشعر البتاء، وقد اقتصرنا في نظم الشعر على الأغراض الإعلامية التالية: (57)

1. الدعوة إلى الإسلام ومبادئه والرد على خصومه، وكان من أشهر المدافعين عن الدعوة ورسولها الكريم: حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة.

2. هجاء أعداء الدعوة في عصر النبوة، وهجاء أصحاب الديانات الزائفة بعد عصر النبوة؛ حيث أصبح الشعر سلاحاً في الحرب النفسية الإعلامية.

3. رثاء من استشهدوا في غزوات الرسول ﷺ في الفتوحات الإسلامية الكثيرة.

4. الفخر والتباهي بالانتصار على جيوش الفرس والروم والإشادة بشجاعة المسلمين وأبطالهم، وهذا لإضعاف معنويات العدو، وزرع الحماس في قلوب المسلمين، ووصف المعادل والحصون وآلات القتال التي لم يكونوا يعرفونها، وأنواع الحيوان الذي لم يشاهدوه، ومنه الفيلة التي حارب الفرس بها العرب، ووصف جبال الثلج والأنهار العظام، وسفن البحار.

5. الحكمة وقد كثرت في الشعر في هذا العصر وذلك بتأثير من ثقافة القرآن والدين والفتوحات.

6. من جوانب الدور الإعلامي للشعر في عصر النبوة مدح الرسول ﷺ، وبيان فضله على العالمين، وتعداد صفاته وأخلاقه⁽⁵⁸⁾.

7. تسجيل الأحداث والوقائع؛ إذ تسجل قصائد الشعراء في عصر النبوة وقائع الحياة، كما تسجلها إلى حد قريب وسائل الإعلام في أيامنا المعاصرة⁽⁵⁹⁾.

وفي الأخير نقول أنه مهما عظم شأن الشعر في تلك الفترة لا يمكن أن يقاس من هذه النواحي بالقرآن أو الحديث أو خطب الرسول ﷺ.

5.4. المناظرة

هي مباراة أو مبارزة كلامية تتم بين فريقين أو شخصين يدلي كل واحد منهما بدلوه حول قضية أو مشكلة من المشكلات ويكون لكل فريق أو شخص رأي معارض للطرف الآخر حول ذات الموضوع المطروح للمبارزة، فيحاول كل طرف أن ييدي حججه وبراهينه التي تدعم رأيه.

ففي عصر النبوة استعمل الرسول ﷺ طريقة المناظرة في مواجهته للمشركين وغيرهم من المعاندين، وكانت المناظرة تجري أمام أعين الناس، وهذا ما ساعده كثيرا على نشر الدعوة الإسلامية، وقد كان الرسول الكريم في مناظراته يبين المزايا العظيمة التي انفرد بها الدين الإسلامي⁽⁶⁰⁾.

فأساس المناظرة هو قوة الإقناع، فالحجة تدمعها الحجة، والسؤال يقابله الجواب. وقد استخدم الرسول ﷺ المناظرة كوسيلة اتصال جماهيرية؛ لأنه أيقن أنّ لها مزايا عديدة، لعل أهمها الإثارة التواصلية، وشد انتباه الجمهور، وأنها بالغة الأثر في إيصال المعلومات والإقناع بالحجة⁽⁶¹⁾.

التزم الرسول ﷺ بأداب المناظرة والحوار، وقد أجملها محمد سيد طنطاوي في النقاط التالية:⁽⁶²⁾

1. أن تكون المناظرة بين الطرفين قائمة على الصدق وتحري الحقيقة... ولقد ساق القرآن الكريم ألوانا من المحاورات التي دارت بين الرسل وأقوامهم، وبين الصالحين والمفسدين، وعند تدبرها نجد الأخيار فيها لا ينطقون إلا بالصدق الذي يدمغ الكذب، وبالحق الذي يزهق الباطل.
2. إبراز الدليل الناصع، والبرهان الساطع والمنطق السليم.
3. أن يقصد كل طرف من أطراف الخلاف إظهار الحق والصواب في الموضوع الذي هو موضع الاختلاف، حتى ولو كان هذا الإظهار على يد الطرف المخالف.
4. التواضع وتجنب الغرور والتزام الأسلوب المهذب الخالي من كل ما لا يليق.
5. إفساح المجال أمام المناقش أو المعارض لغيره، لكي يعبر عن وجهة نظره، دون مصادرة لقوله، أو إساءة إلى شخصه، وفي الوقت نفسه إعطاء الحرية للجانب الآخر،

لكي يرد على المخالف بأسلوب مهذب، وبمنطق سليم، وبمحرص تام على تبادل الاحترام فيما بينهما؛ حيث إن الخلاف في الرأي بين العقلاء لا يفسد الود بينهم.

6.4. المناداة

كان النداء وسيلة لنشر الأخبار والإعلام بالأخطار في العصور القديمة، ومارسها أيضا العرب في العصر الجاهلي ومثل طريقة المنادي، وجدنا طريقة أخرى للاتصال في الإسلام وهي طريقة الآذان، والآذان لغة هو الإعلام ورفع الصوت للمناداة⁽⁶³⁾. فيقوم المؤذن بالنداء في أوقات الصلاة، أو لجمع المسلمين في المسجد لأمر هام، أو لنشر خبر وفاة أحد الأمراء أو القادة أو العلماء، فيشيد بمنابهم، وذلك بعد التسبيح والحمدلة ثم السلام على النبي ﷺ. وقد شرع الله الآذان في السنة الأولى من الهجرة بعد اكتمال بناء مسجد المدينة⁽⁶⁴⁾.

أما أهم ما كان يقوم به المنادون -بالإضافة إلى ما سبق ذكره- هو التعبئة العامة للجماهير عن طريق الدعوة إلى الجهاد إذا لزم الأمر ذلك، وفي هذه الحالة يذيع المنادون (المؤذنون) من أعلى منارات المساجد بعض الأحاديث النبوية الشريفة في موضوع الجهاد في سبيل الله⁽⁶⁵⁾.

7.4. البعثات والوفود

وهي وسيلة إعلامية منذ القدم لنقل المعلومات والمعارف والتفاوض أيضا، وقد اشتهرت عندنا منذ ظهور الإسلام؛ إذ اعتمد عليها خاتم الأنبياء ﷺ اعتمادا كبيرا، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك بعثات رسولنا الكريم إلى خارج الجزيرة هذه البعثات التي كانت حركة إعلامية فعالة وحاسمة بالنسبة للتاريخ الإسلامي.

خاتمة

حاولنا من خلال ما تم عرضه تحقيق الربط العلمي بين دعوة رسول الله ﷺ وعلوم الاتصال رغبة منا في إعطاء مقارنة اتصالية لدعوته صلى الله عليه وسلم.

فقد أيقن الرسول ﷺ أن إزالة المعتقدات التي رسخت في الأذهان خلال قرون عديدة، وإحلال معتقدات جديدة في محلها لا يمكن تحقيقها باستخدام القوة والعنف، بل بالموعة الحسنة والحجة والحكمة والمجادلة من أجل تحقيق الهدف الأول والرئيس لأي عملية اتصالية إعلامية ألا وهو الإقناع.

فكانت بذلك الحكمة والموعة والجدال بالتي هي أحسن من مبادئ العملية الاتصالية للرسول ﷺ التي توجها بجميع أشكال الاتصال: الاتصال الذاتي، الاتصال الشخصي والجمعي.

ولم ننس الحديث عن أثر الممارسة الإعلامية للرسول ﷺ في الرأي العام المعارض للدعوة الإسلامية والذي ساهم بطريقة غير مباشرة في نشر الإسلام عن طريق الرد عليه، وهذا ما ساعد الدعوة على الانتشار في أسمع الكثير من الناس الذين بدؤوا بالبحث عن الحقيقة والصواب.

لقد أعد الله عز وجل الرسول ﷺ ليكون الداعية الأول، والإعلامي الأمثل في الإسلام لأداء المهمة الربانية المقدسة المتمثلة في نشر رسالة الإسلام وإقناع البشر بمبادئه وتعاليمه، فقد اختصه الله عز وجل بقوة روحية وعطاءات إلهية أسهمت في إعداداته وتأهيله لتحمل أعباء الرسالة، فكان تأثره بالبيئة التي عاشها تأثراً إيجابياً جعله شخصية قيادية فاعلة قادرة على تغيير الظروف السلبية في ذلك الزمان فزوده الله عز وجل بصفات اتصف بها في طفولته، في صباه وفي شبابه قبل بعثته وكانت بمثابة عوامل لجذب الانتباه، ولفت الأنظار إليه لتكون شاهدة له إذا ما جهر بدعوته، وبلغ رسالته فكانت مهمته صلى الله عليه وسلم إعلامية بالدرجة الأولى تتمثل في الإبلاغ بالقول والعمل، وذلك بالتخطيط السليم في كل مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية سواء في المرحلة السرية أو الجهرية في مكة أو في المراحل المختلفة في المدينة بعد الهجرة إلى غاية

فتح مكة ووفاته صلى الله عليه وسلم فلكل مرحلة من مراحل الدعوة هدفها وجمهورها وموضعها المناسب، وهذا ما يستوجب تنوع وتميز أشكال الاتصال ووسائله من مرحلة إلى أخرى لتحقيق الهدف الأسمى والمتمثل في نشر الدين الإسلامي إلى كافة الناس، معتمدا في ذلك على مبادئ العملية الاتصالية الناجحة لتحقيق التأثير والاستجابة من خلال الآية الكريمة الآتية: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ الْبَالِغِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل آية 125).

وتوصلنا في الأخير إلى أن مدرسة النبوة غنية جدا بالأساليب الاتصالية والإعلامية الفعالة، وما أوجبنا إلى أن نتعلم في ربوع هذه المدرسة من أجل صحافة مثالية وإعلام صادق، وهذه المدرسة بحمد الله مفتوحة أبوابها للجميع ترحب بالجميع.

الهوامش

- (1) محمد عمر الطنوبي: نظريات الاتصال، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، ط1، 2001، ص26.
- (2) شعبان كريمة: الاتصال الخطابي: دراسة نموذجية للخطابة عند الرسول ﷺ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، الجزائر. 2001، ص301.
- (3) عبد الوهاب كحيل: الجوانب الإعلامية في حياة الرسول ﷺ: مرحلة الإعداد والممارسة العامة في مكة دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص271.
- (4) صفى الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002، ص61.
- (5) محمد عمر الطنوبي: نظريات الاتصال، ط1، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، 2001، ص52.
- (6) عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1971، ص70.
- (7) أمينة الصاوي، عبد العزيز شرف: نظرية الإعلام في الدعوة الإسلامية، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1985، ص115-116.
- (8) المرجع السابق، ص117.

- (9) عبد الوهاب كحيل، مرجع سابق، ص290.
- (10) خفاجي محمد عبد المنعم، شرف عبد العزيز: التفسير الإعلامي للسيرة النبوية، ط1، دار الجليل، بيروت، 1992، ص323.
- (11) محمد الخضر حسين: الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع الرياض، 1417هـ، ص67.
- (12) عبد الرحيم بن محمد المغزوي: وسائل الدعوة، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2000، ص31.
- (13) أمينة الصاوي، عبد العزيز شرف، محمد عبد المنعم خفاجي: السيرة النبوية والإعلام الإسلامي، مكتبة مصر، القاهرة، 1986، ص245.
- (14) عبد الرحيم بن محمد المغزوي: مرجع سابق، ص64.
- (15) صفى الرحمن المباركفوري: مرجع سابق، ص416.
- (16) عبد الرحيم بن محمد المغزوي: مرجع سابق، ص89.
- (17) محمد الخضر حسين: مرجع سابق، ص68.
- (18) أحمد أحمد غلوش: الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، الشركة العالمية للكتاب، 1987، ص280.
- (19) عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، 1975، ص471.
- (20) عبد الله شحاته: الدعوة الإسلامية والإعلام الديني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1986، ص6.
- (21) عبد الله ناصح علوان: سلسلة مدرسة الدعاة: فصول هادفة في فقه الدعوة والداعية، ط1، المجلد1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2001، ص227.
- (22) عبد اللطيف حمزة: مرجع سابق، ص48.
- (23) عبد الله ناصح علوان: مرجع سابق، ص341.
- (24) المرجع السابق، ص344.
- (25) الشافعي: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص114.

- (26) محمد رضا: محمد رسول الله ﷺ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2003، ص95.
- (27) محمد منير حجاب، الإعلام الإسلامي، المبادئ النظرية، التطبيق، ط3، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص36.
- (28) المرجع السابق، ص61.
- (29) عبد اللطيف حمزة: مرجع سبق ذكره، ص38.
- (30) الخطيب عبد الكريم: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ط1، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1964، ص71.
- (31) عبد الله ناصح علوان: مرجع سابق، ص377.
- (32) عبد الرزاق عفيفي: الحكمة من إرسال الرسل - منهج الرسل في الدعوة إلى الله-، دار الصميعي للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، 2000، صص72، 73.
- (33) فرحات محبوب: ضوابط الحوار في الدعوة الإسلامية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2000، ص18.
- (34) خديجة حسيني: استراتيجية الاتصال في العلاقات الدبلوماسية لدولة الإسلام الأولى، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، الجزائر، 2004، ص81.
- (35) شعبان كريمة: مرجع سابق، ص367.
- (36) رقية بنت نصر الله بن محمد نياز: التهيب في الدعوة في القرآن والسنة، ط1، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 1999، ص33.
- (37) محمد غزالي: مع الله: دراسات في الدعوة والدعة، دار الهدى، الجزائر، 1999، ص240.
- (38) رقية بنت نصر الله بن محمد نياز: مرجع سابق، ص31.
- (39) عبد الكريم زيدان: مرجع سابق، ص439.
- (40) عبد اللطيف حمزة: مرجع سابق، ص44.
- (41) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1965، ص307.
- (42) عبد الرحيم بن محمد المغزوي: مرجع سابق، ص15.

- (43) فضيل دليو: مدخل إلى الاتصال الجماهيري، مخبر علم اجتماع الاتصال، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2003، ص13.
- (44) محي الدين عبد الحليم: مرجع سابق، ص147.
- (45) محمد سيد محمد: المسؤولية الإعلامية في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص65.
- (46) فؤاد توفيق العاتي: الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ص134.
- (47) حسن أحمد محمود: الدولة الإسلامية الأولى: عهد البعثة النبوية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص06.
- (48) محمد خير الدرع: نبي الإسلام، شخصيته، حياته، رسالته في عرض جديد على أعضاء العلم والفلسفة والتاريخ، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002، ص60.
- (49) حسن أحمد محمود: مرجع سابق، ص06.
- (50) فريال مهنا: علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 2002، ص91.
- (51) محي الدين عبد الحليم، الدعوة الإسلامية والإعلام الدولي: مرجع سابق، ص47.
- (52) حسن أحمد محمود: مرجع سابق، ص7.
- (53) محمد رجب الشتوي: الدعوة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، ط1، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1990، ص99.
- (54) أمينة الصاوي، العزيز شرف، ومحمد عبد المنعم خفاجي: مرجع سبق ذكره، ص301.
- (55) أمينة الصاوي، عبد العزيز شرف: مرجع سابق، ص119.
- (56) خديجة الحسيني: مرجع سابق، ص81.
- (57) أمينة الصاوي، العزيز شرف، ومحمد عبد المنعم خفاجي: مرجع سابق، ص326.
- (58) عبد الرحيم محمود زلط: رسالة الشعر في خدمة الدعوة وحركات الإصلاح قديما وحديثا، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، 1983، ص16.
- (59) أمينة الصاوي، عبد العزيز شرف، ومحمد عبد المنعم خفاجي: مرجع سابق، ص331.
- (60) محمد سيد محمد: مرجع سابق، ص120.

- (61) إبراهيم إمام: أصول الإعلام الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985، ص120.
- (62) سليم عبد الله الحجازي: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ط1، دار المنارة، جدة. 1986، ص234.
- (63) فضيل دليو: مرجع سابق، ص33.
- (64) محمد سيد طنطاوي: آداب الحوار في الإسلام: دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص16-59.
- (65) محمد عجاج الخطيب: أضواء على الإعلام في صدر الإسلام: خصائصه، دعائمه، وسائله، مناسباته ومراكزه، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987، ص37.